www.saaid.net/kutob

رسالة (أصل الدين وقاعدته أمران) ،

للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ)

وشرحها لحفيده

الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(١٢٨٥ هـ)

رحمهما الله تعالى

انتقاه واعتنى به

ماجد بن سليمان الرسي

شوال ١٤٣٣ هـ

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله تعالى:

أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله.

والمخالفون في ذلك أنواع ؛

فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع.

ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم يُنكر الشرك ، ولم يعادِ أهله.

ومنهم من عاداهم[2] ، ولم يُكفِّرهم.

ومنهم من لم يحب التوحيد ، ولم يبغضه.

---

[1] الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به وبمؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، وانظر لزاما كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود.

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩) ، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

[2] أي: أهل الشرك.

ومنهم من كفَّرهم[١] ، وزعم أنه[٢] مسبةٌ للصالحين.

ومنهم من لم يبغض الشرك ، ولم يحبه.

ومنهم من لم يعرف الشرك ، ولم ينكره.

ومنهم من لم يعرف التوحيد ، ولم ينكره.

ومنهم – وهو أشد الأنواع خطرًا – من عمِل بالتوحيد ، لكن لم يَعرف قدره ، ولم يُبغض من تركه ، ولم يكفرهم.

ومنهم من ترك الشرك ، وكرهه ، ولم يعرف قدره ، ولم يعاد أهله ، ولم يكفرهم.

وهؤلاء[٣] قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء ، من دين الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم.[٤]

[١] أي: كفَّر أهل التوحيد.

[٢] أي: التوحيد.

[٣] أي المخالفين الذين تقدم ذكر أنواعهم.

[٤] انتهى كلامه رحمه الله ، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/٢٢).

الشرح

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن[1] رحمه الله تعالى شارحا لكلام جـــــده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهما الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله رحمه الله تعالى:

أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

[1] هو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١١٩٦ هـ في الدرعية ، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقه ، كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر ، كالشيخ حسن القويسيني ، والشيخ عبد الرحمٰن الجبرتي ، والشيخ عبد الله باسودان ، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري ، وقد أجازه هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم.

كما درس الشيخ عبد الرحمٰن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها.

وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمٰن جم غفير من الطلبة ، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف.

وللشيخ عبد الرحمٰن عدة مصنفات ، أشهرها كتابه «فتح المجيد» ، وهو مختصر لكتاب ابن عمه ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد» ، وله أيضا «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» ، وهو حاشية على كتاب التوحيد.

كما ألف الشيخ عبد الرحمٰن رسائل كثيرة ، وهي مبثوثة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» ، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

توفي رحمه الله عام ١٢٨٥ هـ بعد أن أبلى بلاء حسنا في نصرة الإسلام ، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود ، والترجمة لحفيده ، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن حسن ، رحمهم الله.

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه.

قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾ الآية[١].

أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى «لا إله إلا الله» الذي دعا إليه العرب وغيرهم.

والكلمة هي «لا إله إلا الله» ، ففسرها بقوله ﴿ألا نعبد إلا الله﴾ ، فقوله ﴿ألا نعبد﴾ ؛ فيه معنى «لا إله» ، وهو نفي العبادة عما سوى الله.

وقوله «إلا الله» ، هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

فأَمَرَهُ تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده ونفيها عمَّن سواه ، ومثل هذه الآية كثير ، يُبين أن الإلٰهية هي العبادة ، وأنها لا يصلح منها شيء لغير الله ، كما قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾[٢] ، معنى قضى: أمر ووصَّى ، قولان[٣] ، ومعناهما واحد.

وقوله ﴿ألا تعبدوا﴾ ؛ فيه معنى «لا إله».

وقوله ﴿إلا إياه﴾ ؛ فيه معنى «إلا الله».

وهذا هو توحيد العبادة ، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم ﴿أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره إياه﴾[٤] .

---

[١] سورة آل عمران: ٦٤ .

[٢] سورة الإسراء: ٢٣ .

[٣] أي في تفسير الآية.

[٤] سورة المؤمنون: ٣٢ .

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأسا ، والبراءة منه وممن فعله ، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾[1] ، فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله.

وقال عنه عليه السلام ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾[2] ، فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما ، كما صرح به في قوله تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾[3]، والذين معه هم الرسل ، كما ذكره ابن جرير.

وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، ونفي الشرك ، والموالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له ، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فإنهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد.

وقد قال تعالى في حال من أشرك ﴿وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار﴾[4] ، فكفره تعالى باتخاذ الأنداد وهم الشركاء في العبادة ، وأمثال هذه الآيات كثيرة ، فلا يكون موحدا إلا بنفي الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله.

ثم قال رحمه الله تعالى:

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعادة فيه ، وتكفير من فعله.

---

[1] سورة الزخرف: ٢٦ – ٢٧ .

[2] سورة مريم: ٤٨ .

[3] سورة الممتحنة: ٤ .

[4] سورة الزمر: ٨ .

فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا ، وهو دين الرسل ، أنذروا قومهم عن الشرك ، كما قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[١]، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٢]، وقال تعالى ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله﴾[٣].

قوله: في عبادة الله.

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

قوله: والتغليظ في ذلك.

وهذا موجود في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين﴾[٤]، ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم ، كما هو مذكور في السير مفصلا ، فإنه بادَئهم بسبِّ دينهم وعيب آلهتهم.

قوله رحمه الله تعالى: والمعاداة فيه.

---

[١] سورة النحل: ٣٦ .

[٢] سورة الأنبياء: ٢٥ .

[٣] سورة الأحقاف: ٢١ .

[٤] سورة الذاريات: ٥٠ – ٥١ .

كما قال تعالى ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾[1] ، والآيات في هذا كثيرة جدا ، كقوله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[2] ، والفتنة الشرك.

ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات ، فلا بد من تكفيرهم أيضا ، وهذا هو مقتضى «لا إله إلا الله» ، كلمة الإخلاص ، فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكا في عبادته ، كما في الحديث الصحيح: من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ؛ حَرُم ماله ودمه ، وحسابه على الله.[3]

فقوله (وكفر بما يعبد من دون الله) تأكيد للنفي ، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك ، فلو شك أو تردَّد لم يُعصم دمه وماله.

فهذه الأمور هي تمام التوحيد ، لأن «لا إله إلا الله» قُيِّدت في الأحاديث بقيود ثِقال ؛ بالعلم ، والإخلاص ، والصدق ، واليقين ، وعدم الشك ، فلا يكون المرء مُوحدا إلا باجتماع هذا كله ، واعتقاده ، وقبوله ، ومحبته ، والمعاداة فيه ، والموالاة ، فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه الله يحصل ذلك.

ثم قال رحمه الله تعالى:

والمخالف في ذلك أنواع ، فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع.

---

[1] سورة التوبة: ٥ .

[2] سورة الأنفال: ٣٩ .

[3] رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه.

فقبل الشرك واعتقده دينا ، وأنكر التوحيد واعتقده باطلا ، كما هو حال الأكثر ، وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء وما عليه الآباء ، كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل ، فرموا أهل التوحيد بالكذب والزور والبهتان والفجور ، وحجتهم ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾[١] .

وهذا النوع من الناس والذي بعده قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله دينا سواه ، وهو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله ، واتفقت دعوتهم عليه ، كما لا يخفى فيما قص الله عنهم في كتابه.

ثم قال رحمه الله: ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم ينكر الشرك ، ولم يعادِ أهله.

قلت: ومن المعلوم أن من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ، ولم يأت به ، وقد عرفتَ أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من عاداهم ولم يُكَفِّرْهم.

فهذا النوع أيضا لم يأت بما دلت عليه «لا إله إلا الله» من نفي الشرك ، وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان إجماعا ، وهو مضمون سورة الإخلاص و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ، وقوله في آية الممتحِنة ﴿كفرنا بكم﴾.

ومن لم يُكَفِّر من كَفَّر القرآن فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه.

ثم قال رحمه الله: ومنهم من لم يحب التوحيد ، ولم يبغضه.

---

[١] سورة الشعراء: ٧٤ .

فالجواب: أن من لم يحب التوحيد لم يكن مُوحِّدا ، لأنه هو الدين الذي رضيه الله تعالى لعباده ، كما قال: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1] ، فلو رضي بما رضي به الله وعمل به لأحبه ، ولابد من المحبة لعدم حصول الإسلام بدونها ، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

قال شيخ الإسلام[2] رحمه الله: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه ، فمن أحب الله أحب دينه ، وما لا فلا ، وبالمحبة يترتب عليها ما تقضيه كلمة الإخلاص من شروط التوحيد.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه.

قلت: ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته «لا إله إلا الله» من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ؛ فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلا ، ولم يُعصم دمه ولا ماله ، كما دل عليه الحديث المتقدم.

وقوله رحمه الله: ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره.

قلت: من لم يعرف الشرك ولم ينكره لم ينفه ، ولا يكون موحدا إلا من نفى الشرك ، وتبرأ منه وممن فعله ، وكفَّرهم ، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه «لا إله إلا الله» ، ومن لم يقُم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها فليس من الإسلام في شيء ، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ويقين وصدق وإخلاص ومحبة وقبول وانقياد ، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء وإن قال «لا إله إلا الله» ، فهو لا يعرف ما دلت عليه ولا ما تضمنته.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره.

---

[1] سورة المائدة: ٣ .

[2] أي ابن تيمية رحمه الله.

فأقول: هذا كالذي قبله ، لم يرفعوا رأسا بما خلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله ، وهذه الحال حال من قال الله فيهم ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[١].

وقوله رحمه الله: ومنهم – وهو أشد الأنواع خطرا – من عمل بالتوحيد ، ولم يعرف قَدره ، فلم يبغض من تركه ، ولم يكفرهم.

فقوله رحمه الله: (وهو أشد الأنواع خطرا) ، لأنه لم يعرف قدر ما عمِل به ، فلم يجيء بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لابد منها ، لِما علِمت أن التوحيد يقتضى نفي الشرك ، والبراءة منه ، ومعاداة أهله ، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يُغتر بحاله ، وهو لم يجيء بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفيا وإثباتا.

وكذلك قوله رحمه الله: ومنهم من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره.

فهذا أقرب من الذي قبله لكن لم يعرف قدر الشرك ، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات ، كقول الخليل ﴿إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾[٢]، وقوله ﴿إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا﴾[٣].

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك ؛ من الولاء والبراء من العابد والمعبود ، وبغض الشرك وأهله وعداوتهم ، وهذان النوعان هما الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الإسلام ، فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص وما اقتضته على الكمال الواجب الذي يكون به موحداً ، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين.

---

[١] سورة الفرقان: ٤٤ .

[٢] سورة الزخرف: ٢٦ – ٢٧ .

[٣] سورة الممتحنة: ٤ .

فإذا عرفت أن الله كفَّر أهل الشرك ووصفهم به في الآيات المحكمات ، كقوله ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾[1] ، وكذلك السُّنة.[2]

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (إن أهل التوحيد والسنة يُصدِّقونهم[3] فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون ما قالوا ، ويفهمونه ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم ، ويفعلون ذلك تقرباً إلى الله طلباً للجزاء من الله لا منهم.

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ونهوا عنه ، ولا بين ما صح عنهم وما كُذِب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم ، ولا يتحرون طاعتهم ومتابعتهم ، بل هم جهال بما أتوا به ، معظمون لأغراضهم)[4].

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام يشبه حال هذين النوعين الأخيرين.

بقي مسألة حدثت ، تكلم بها شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو عدم تكفير المعين ابتداءً ، لسبب ذكره رحمه الله تعالى أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه.

قال رحمه الله تعالى: فإن بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن يدعو أحداً من الأموات ، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم ، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، ولا بلفظ

---

[1] سورة التوبة: ١٧ .

[2] هكذا في المطبوع ، بدون ذكر جواب الشرط ، والله أعلم ؛ هل هو ذهول من المؤلف ، أم سقط في النسخ ، وعلى كل حال فسياق الكلام في البراءة من الشرك وأهله وعداوتهم ، فيكون تقدير الكلام الساقط:
... وكذلك السنة ؛ استوجب هذا عداوة الشرك والمشركين.

[3] أي الرسل.

[4] «الاستغاثة في الرد على البكري» (٤٩٩/٢) ، وقد ضبطت النص منه ، وتمام الكلام: إما لينالوا منهم منفعة ، أو ليدفعوا بهم عن أنفسهم مضرة. (الناشر: مدار الوطن – الرياض)

الاستعاذة ولا بغيرها ، كما أنه لم يَشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله.
ولكن لغلبة الجهل ، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين ؛ لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يُبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه. انتهى.[١]

قلت: فذكر رحمه الله تعالى ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة إلا بعد البيان والإصرار ، فإنه قد صار أمة وحده ، لأن من العلماء من كفَّره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة ، فلا يمكن أن يعاملهم بمثل ما قال ، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ابتداء دعوته ، فإنه إذا سمعهم يدعون زيدًا بن الخطاب قال: (الله خير من زيد) ، تمرِينًا لهم على نفي الشرك بلين الكلام ، نظرًا إلى المصلحة وعدم النفرة ، والله سبحانه أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبة وسلم.[٢]

---

[١] «الاستغاثة في الرد على البكري» (٦٢٩/٢ – ٦٣٠) ، وقد ضبطت النص منه.

[٢] انتهى كلامه رحمه الله ، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢٠٢/٢ – ٢١١).